

البداية والنهاية

إني على بيعتي لمعاوية فجمع زياد سبعين من أهل الكوفة فقال اكتبوا شهادتكم على حجر وأصحابه ففعلوا ثم أوفدهم إلى معاوية وبلغ الخبر عائشة فأرسلت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم فلما دخلوا على معاوية قرأ كتاب زياد فقال معاوية اخرجوا بهم إلى عذراء فاقتلوهم هناك فذهبوا بهم ثم قتلوا منهم سبعة ثم جاء رسول معاوية بالتخلى عنهم وأن يطلقوهم كلهم فوجدوا قد قتلوا منهم سبعة وأطلقوا السبعة الباقين ولكن كان حجر فيمن قتل في السبعة الأول وكان قد سألهم أن يصلى ركعتين قبل أن يقتلوه فصلى ركعتين فطول فيهما وقال إنهما لأخف صلاة صليتها وجاء رسول عائشة بعد ما فرغ من شأنهم فلما حج معاوية قالت له عائشة أين عذب عنك حلمك حين قتلت حجرا فقال حين غاب عني مثلك من قومي ويروى أن عبد الرحمن بن الحارث قال لمعاوية اقتلت حجر بن الأديب فقال معاوية قتله أحب إلى من أن أقتل معه مائة ألف وقد ذكر ابن جرير وغيره عن حجر بن عدي وأصحابه أنهم كانوا ينالون من عثمان ويطلقون فيه مقالة الجور وينتقدون على الأمراء ويسارعون في الإنكار عليهم ويبالغون في ذلك ويتولون شيعة على ويتشددون في الدين ويروى أنه لما أخذ في قيوده سائرا من الكوفة إلى الشام تلقتة بناته في الطريق وهن يبكين فمال نحوهن فقال إن الذي يطعمكم ويكسوكم هو الله وهو باق لكن بعدى فعليكن بتقوى الله وعبادته وإني إما أن أقتل في وجهي وهي شهادة أو أن أرجع إليكن مكرما والله خليفتي عليكم ثم انصرف مع أصحابه في قيوده ويقال إنه أوصى أن يدفن في قيوده ففعل به ذلك ولكن صلوا عليهم ودفنوهم مستقبل القبلة رحمهم الله وسامحهم وقد قالت امرأة من المتشيعات ترضى حجرا وهند بنت زيد بن مخرمة الأنصارية ويقال إنها لهند أخت حجر فإني أعلم ... ترفع أيها القمر المنير ... تبصر هل ترى حجرا يسير ... يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير ... يرى قتل الخيار عليه حقا ... له من شر أمته وزير ... ألا يا ليت حجرا مات يوما ... ولم ينحر كما نحر البعير ... تجبرت الجابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير ... واصبحت البلاد له محولا ... كأن لم يحيها مزن مطير ... ألا يا حجر حجر بن عدي ... تلتقتك السلامة والسرور ... أخاف عليك ما أرى عديا ... وشيخا في دمشق له زبير ... فان تهلك فكل زعيم قوم ... من الدنيا إلى هلك يصير